نواب الصحافة

أحمد زين

لم يضع المشترع الدستوري شروطاً يجب توافرها في المرشح للانتخابات النيابية، انما اشار الى بعض الشروط بصورة غير مباشرة عندما نص في المادة ٢١ ـ دستور على الشروط لممارسة حق الانتخاب[١]، والمادة ٢٩ التي اوكلت للقانون العادي تحديد «الاحوال التي تفقد معها الاهلية للنيابة». ودرجت القوانين الانتخابية المتعاقبة على تحديد تلك الشروط فأخذت بمبدأ ان حق الانتخاب وحق الترشح مطلق للجميع وبالتالي فإن منع ممارستهما يجب ان لا يتعدى حالات استثنائية جداً تستند في معظمها الى فعل ينتقص من مفهوم المواطنة الاساسية كالحرمان من الحقوق المدنية والجرم الشائن والمحكوم عليهم بالحجر قضائياً ومن يُعلن افلاسهم...

لذلك كانت ابواب المجلس النيابي منذ بداية الحياة النيابية المنتظمة مشرعة امام جميع مكونات الشعب كأصحاب المهن الحرة والاختصاصات والنقابيين ورجال الاعمال والمال والملاكين... ومنهم العاملون في الصحافة فكان منهم نواب اسسوا صحفا ومراسلون ومحررون وكتاب مارسوا المهنة قبل النيابة او اثناءها او بعدها، وترك الكثيرون من هؤلاء بصمات ان في «مهنة السياسة» وان في «مهنة البحث عن المتاعب».

ان الوقوف عند مشاركة «هذا الفريق» في النيابة لا يعني مجرد استعادة جانب من هوية المجالس المتعاقبة، انما ليكشف ايضا جوانب اخرى منها ما يتعلق بالاغتراب اللبناني ومنها ما يتعلق بالتطور الذي لحق بالصحافة المكتوبة وواقع المنطقة على ضوء التطور الواسع الذي طاول الاعلام حتى اليوم. وما هو مهم في هذا المجال محاولة استكشاف تجربة «نواب الصحافة» عما اذا كانوا قد استطاعوا ان يكونوا

(١) المادة ٢١ من الدستور: لكل وطني لبناني بلغ من العمر إحدى وعشرين سنة كاملة حق في أن يكون ناخباً على أن تتوفر فيه الشروط المطلوبة بمقتضى قانون الانتخاب.

امناء على مبدأ الفصل بين السلطات عندما شاركوا في السلطة التشريعية في الوقت الذي كانوا فيه يمارسون او ينتمون للسلطة الرابعة.

عرفت الحياة النيابية منذ انشاء المجلس التمثيلي الاول سنة ١٩٢٢ وحتى انتخابات ٢٠٠٩ الاخيرة ٨٠٥ اشخاص تعاقبوا على المجالس منهم لدور انتخابي واحد ومنهم لدورين او ثلاثة او اكثر. وتؤكد الاحصاءات ان من بين هذه الاسماء حوالى ١٥٠ نائباً كانوا من بين المحامين او حاملي شهادة الحقوق. وهذا العدد يكفي لتصنيف الحقوقيين الفئة الاكثر عددا من بين جميع فئات المهن الاخرى. وهو امر طبيعي ومتوقع نظراً لماهية الاختصاص وعلاقته بالرقابة والتشريع اللذين يشكلان المهام الاساسية لمجلس النواب. ولكن من الملفت ان يكون عدد «نواب الصحافة» من بين الاسماء التي تعاقبت على الحياة النيابية يقارب نصف عدد المحامين ويعادل عدد الاطباء الذين جاؤوا في المرتبة الثانية بعد الحقوقيين بـ ٧٥ طبيباً بينما عدد العاملين في الصحافة وصل الى ٧٤ نائباً.

ومقاربة «نواب الصحافة» بالنواب الاطباء ليست هامشية كما يظهر من الوهلة الاولى. فالفوز في الانتخابات النيابية يتأثر الى حدود بعيدة في لبنان بالخدمات الخاصة كما ان تشكيل اللوائح الانتخابية يأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار. ولذلك فإنه ليس مفاجئاً ان يكون عدد الاطباء قد وصل الى ٧٥ طبيباً بل على العكس يمكن اعتبار مثل هذا العدد متواضعاً، فعندما يكون الطبيب قريباً من الناس من شبه المستحيل ان يستطيع مرشح منافس اقناع المقترع باستبدال اسمه من على ورقة الاقتراع، ولذلك فعندما يقارب عدد «نواب الصحافة» عدد الاطباء في المجالس المتعاقبة فإن هذا يشير بشكل من الاشكال الى ان الصحافة كانت منذ البداية مؤثرة في الرأي العام وفاعلة، وقد يكون ساعدها على ذلك انها كانت حتى بدايات النصف الثاني من القرن الماضي وسيلة الاعلام الوحيدة وحتى الاربعينيات مفتوحة امام الجميع بفعل عدم وجود قانون احتكار لإنشاء الصحف والمجلات.

ويساعد في تظهير موقع الصحافة عبر الحقبات المتلاحقة رصد مشاركة «نواب الصحافة» في الندوة النيابية بأشكالها المختلفة أن من بين هؤلاء النواب ما يقارب ٥٧ نائبا قد مارسوا المهنة قبل المشاركة في النيابة و١٧ مارسوا العملين اما في آن واحد واما بعد انتهاء نيابتهم. وهذا ان دل على شيء فيدل بوضوح على موقع الصحافة وتأثيرها في الحياة السياسية منذ بداية الحياة النيابية المنتظمة ويؤكد ان الصحافة كانت الطريق للنيابة وليس العكس.

ومن بين «نواب الصحافة» ستة تولوا مهام رئاسة نقابة الصحافة ومنهم لمرات عديدة فرئيس الحكومة الاسبق تقي الدين الصلح تولى مهام رئاسة النقابة سنة ١٩٤٦ وكذلك جبران اندراوس تويني ورامز سركيس ووديع عقل الذي كان مساهماً اساسياً في تأسيس النقابة وخليل كسيب الذي تولى رئاسة النقابة سنتي ١٩٣٤ و١٩٤٠ وكان نائباً سنة ١٩٣٧ وزكريا النصولي النقيب ١٩٤٤.

ويمكن ذكر النواب الذين عملوا في جانب من الصحافة وفق التسلسل الابجدي التالي:

١ ـ ملكون ابلغتيان حرر في جريدتي أرتاك وباكين الناطقتين بالارمنية.

٢ ـ خليل ابو جودة كتب اولا في جرائد البلاد والارز والمعرض واصدر جريدة الدستور سنة ١٩٤٧ ثم جريدة الاصلاح ١٩٥٣.

٣ ـ خير الدين الاحدب ـ اسس جريدة العهد الجديد سنة ١٩٢٥ ثم جريدة «بان ـ اراب» سنة ١٩٣٧.

٤ ـ بيار اده ـ رئيس مجلس ادارة جريدة الاوريون ـ لوجور الناطقة بالفرنسية.

٥ ـ كامل الاسعد ـ اصدر جريدة الراية التي كانت ناطقة باسم الحزب الديموقراطي الاشتراكي الذي ترأسه.

٦ ـ أسد الأشقر نشر في بعض الصحف وفي مقدمتها النهار وساهم في تحرير جريدة صدى البلد.

٧ ـ عبدالله الامين ـ عمل في جريدتي السفير والشرق.

٨ ـ آغوب باقرادونيان عمل في جريدة ازتاك الارمنية.

٩ ـ اسكندر سعيد البستاني ـ بدأ عمله في الكوثر والسلوى وكتب في لسان الحال التي ترأس تحريرها واصدر الاتحاد اللبناني كما تولى تحرير جريدة رقيب الاحوال. وقد عمل في الصحافة لاكثر من ٤٠ سنة.

١٠ ـ فيليب تقلا. تولى رئاسة تحرير مجلة المحاكم اللبنانية السورية.

١١ ـ خسروف توتونجيان ـ رئيس تحرير جريدة نورتيانك الارمنية

١٢ ـ ديكران توسباط ـ عمل وترأس تحرير جريدة الاوريون ـ لوجور الناطقة بالفرنسية واصدر جريدة المساء.

١٣ ـ جبران اندراوس تويني ـ عمل في جريدة باريس ١٩٠٨ الصادرة في العاصمة الفرنسية وفي جريدة نهضة العرب كما عمل في الدلتا في مصر وترأس تحرير جريدة البصير في الاسكندرية والمقطم والاهرام في القاهرة، وكتب في الجرائد والمجلات الصادرة في بيروت ومنها الحرية والمرأة الجديدة ومينرفا ثم اصدر الاحرار وجريدة النهار ١٩٣٣.

١٤ ـ غسان جبران تويني. حرر في النهار ثم ترأس تحريرها. وهو ناشر جريدة لوجور والاوريون لوجور.

١٥ ـ جبران غسان تويني. رأس تحرير النهار العربي والدولي ومدير عام لجريدة النهار ومجلة نون الناطقة بالفرنسية.

١٦ ـ يغيا جرجيان حرر في جريدة ارارات الارمنية.

١٧ ـ الشيخ محمد الجسر ـ رئيس تحرير جريدة طرابلس.

١٨ ـ بيار الجميل ـ اصدر جريدة العمل باسم حزب الكتائب.

١٩ ـ موريس الجميل ـ شارك في تحرير جريدة العمل في سنواتها الاولى.

٢٠ ـ كمال جنبلاط ـ اسس جريدة الانباء الناطقة باسم الحزب التقدمي الاشتراكي.

٢١ ـ امين الحافظ كتب في جريدتي الجريدة والحياة.

٢٢ ـ رفيق الحريري أسس جريدة المستقبل.

٢٣ ـ عدنان الحكيم اسس جريدة صوت العروبة الناطقة باسم حزب النجادة.

٢٤ ـ شارل حلو ـ لمع اسمه في «الانفرماسيون» وترأس تحرير جريدة لوجور وكان قد اسس جريدة «برق الشمال» في حلب سنة ١٩٣٢ وكان من عشاق الصحافة حتى أنه ترك المحاماة ليكتب فيها.

٢٥ ـ مروان حمادة ـ عمل في النهار والاوريون لوجور.

٢٦ ـ ادوار حنين كتب في البيرق والبشير وعدة صحف اخرى.

٢٧ ـ فريد الياس الخازن ـ شغل رئيس تحرير مجلة الابحاث الصادرة عن الجامعة الاميركية في بيروت.

٢٨ ـ يوسف الياس سجيع الخازن ـ انشأ في القاهرة جريدة الاخبار ومجلة الخزانة وجريدة بريد الاحد وفي لبنان جريدة الارز كما اصدر جريدة البلاد. وفي باريس حرر في جريدة «الطان».

٢٩ ـ زاهر الخطيب ـ اسس جريدة «صوت الشغيلة».

٣٠ ـ شارل دباس تولى تحرير جريدة الحرية الفرنسية وانشأ جريدة البيان الفرنسية.

٣١ ـ شبل دموس ـ اسس جريدة الايام في نيويورك واسس جريدة الاصلاح وكتب في زحلة الفتاة والاقلام والمهذب والوادي والخواطر.

٣٢ ـ موسى دي فريج ـ تولى مديرية جريدة «لوجور» وكتب فيها.

٣٣ ـ ادمون رزق كتب في الرواد ونداء الوطن والسياسة والانوار والعمل ومقالات في النهار والسفير والبيرق والجريدة والحوادث والمسيرة

٣٤ ـ ميشال زكور ـ عمل في البشير والرأي العام والبيرق والاحوال الذي اصبح مديرا لها ثم الحقيقة والشرق التي اصدرها جمال باشا في دمشق وجريدة الحرية في بيروت والبرق وانشأ جريدة المعرض.

٣٥ ـ باسم السبع ـ مدير تحرير سابق لجريدة السفير وكتب فيها وعمل في الشرق واليوم والهدى التي اسسها والده.

٣٦ ـ رامز سركيس ـ عمل في لسان الحال التي اسسها والده.

٣٧ ـ محسن سليم ـ اصدر «الجديد».

٣٨ ـ يوسف السودا ـ اصدر جريدة الراية.

٣٩ ـ جعفر شرف الدين ـ اسس مجلة «المعة».

٤٠ ـ كميل شمعون ـ ساهم في تحرير مجلة اليقظة.

٤١ ـ ميشال شيحا ـ اصدر مجلة planches وكتب في le reveil وانشأ مع آخرين جريدة Le jour كما أنشأ جريدة ايسترن وكتب في مجلة فينيقيا.

٤٢ ـ فيصل الصايغ ـ عمل كمدير لمجلة الحسناء ومجلة كاتالوجات سنوب الحسناء للازياء والديكور ومجلة الأم.

٤٣ ـ تقي الدين الصلح ـ شارك مع اخوته باصدار جريدة النداء.

٤٤ ـ كاظم الصلح شارك مع اخوته في اصدار النداء.

٤٥ ـ يوسف ضو ـ شارك في تحرير جريدة لوجور.

٤٦ ـ بهيج طبارة اصدر مع آخرين مجلة المستقبل.

٤٧ ـ جان عبيد ـ كتب في لسان الحال والاسبوع العربي والانوار والماغازين وتولى رئاسة تحرير الاحرار والصياد.

٤٨ ـ غازي العريضي كتب في دوريات عديدة آخرها الحوادث ـ مدير عام «اذاعة الجبل».

٤٩ ـ وديع شديد عقل ـ تولى تحرير مجلة «كوكب البرية» واسهم في تحرير النصير واصدر جريدة الاحوال مع آخرين ثم اصدر جريدة الوطن وجريدة الراصد وكان يراسل الاهرام في مصر والف باء في دمشق.

٥٠ ـ شارل عمون تولى رئاسة تحرير جريدة Le jour.

٥١ ـ خليل كسيب ـ حرر في المناظر والاقمار والبرازيل وكلها صدرت في البرازيل، وأصدر في لبنان مجلة الخليل واشترك مع آخرين في اصدار جريدة الاحرار.

٥٢ ـ ناصر قنديل ـ رئيس تحرير جريدة الدنيا «الحقيقة» ورئيس تحرير جريدة الديار سنة ١٩٩٠.

٥٣ ـ الياس فياض ـ حرر في الجرائد المصرية: الرائد المصري والاهرام والبصير وحرر في بيروت في المحبة والصباح والاخبار.

٥٤ ـ نقولا فياض ـ حرر في الاخبار والبصير والشرق وكتب في مجلة الاديب وراسل المقتطف والهلال والاهرام.

٥٥ ـ سمير فرنجيه ـ عمل في الاوريون ـ لوجور وراسل عدة صحف في باريس مثل

لوموند ديبلوماتيك والليبراسيون وكتب في النهار والسفير.

٥٦ ـ حسن فضل الله ـ رئيس تحرير جريدة العهد ـ تولى مديريه اخبار والمديرية العامة لاذاعة النور ومديرية اخبار تلفزيون المنار.

٥٧ ـ ميشال فرحات ـ اصدر مجلة صباح الخير وكتب في صحف ومجلات عديدة.

٥٨ ـ نصار غلمية ـ أسس جريدة الرابطة الشرقية وكتب افتتاحياتها.

٥٩ ـ مروان فارس ـ رأس تحرير عدد من المجلات الفكرية.

٦٠ ـ فايز غصن ـ انصرف منذ ان نال اجازة الاعلام الى ممارسة الصحافة الحرة في عدد من الصحف.

٦١ ـ نعوم لبكي ـ أنشأ مع اسعد خالد في البرازيل الرقيب ثم المناظر كما اصدر المناظر منفرداً في لبنان.

٦٢ ـ روفايل لحود ـ أنشأ مجلة بيبلوس ومجلة الدفاع التي صدرت في الارجنتين صاحب جريدة نداء الوطن مع الياس غريافي وجريدة الدنيا مع توفيق وهبه.

٦٣ ـ بشارة مرهج ـ عمل محررا في الانوار وكتب في عدة مجلات.

٦٤ ـ عبدالله المشنوق ـ اسس جريدة بيروت المساء والشعب وكتب في البلاغ والاهالي. رأس تحرير اكثر من جريدة.

٦٥ ـ غسان مطر عمل لسنوات في عدد من الصحف.

٦٦ ـ نائلة معوض ـ عملت صحافية في الاوريون.

٦٧ ـ نعيم مغبغب ـ حرر في الصحيفتين المصريتين: المقطم والاحرار وعمل مراسلا وعمل مراسلا حربيا لشمال افريقيا تحت اشراف الجيش المصري لجريدة المصري واصدر جريدة علامة الاستفهام التي صدرت في تشرين الثاني ١٩٤٣ وانفردت بنشر اخبار انتفاضة الاستقلال.

٦٨ ـ جميل مكاوي ـ اصدر جريدة الهدف.

٦٩ ـ ايلي مكرزل ـ رئيس تحرير جريدة الأنباء واصدر جريدة الشبيبة المسيحية واصدر سنة ١٩٥٣ جريدة يومية سماها الاشتراكية.

٧٠ ـ ابراهيم المنذر ـ ساهم في جرائد الحرية والمنار والبرق والمعرض والاصلاح وراسل السمير والهدى في نيويورك والحديقة والبريد في البرازيل ويقظة العرب والحاوي في الارجنتين والوطن في التشيلي.

٧١ ـ سليم النجار ـ ساهم في تحرير جريدة التقدم.

٧٢ ـ امين نخلة ـ كتب في جريدة الشعب التي يملكها والده والتي عطلها الانتداب ثماني مرات حتى توقفت.

٧٣ ـ زكريا النصولي ـ اسس جريدة بيروت.

٧٤ ـ ألفرد نقاش ـ راسل الاوريون ولوريفاي.

يتبين من لائحة النواب العاملين في الصحافة انفتاحهم على المدى الأوسع من لبنان فسجلوا حضورهم في بلاد الاغتراب وفي البلدان العربية، وخصوصا سوريا ومصر التي تركوا فيها بصمات واضحة وكتبوا في عدة لغات كان للفرنسية منها حصة الاسد فأصدروا فيها اكثر من جريدة ومجلة. ومن بين النواب الارمن خمسة جاؤوا من الصحافة وكتبوا في جرائد ارمنية باستثناء ديكران توسباط الذي تولى رئاسة تحرير جريدتين يوميتين تصدران باللغة الفرنسية. وقد ساعد النواب الذين انتسبوا للصحافة في لبنان تلك السياسة التي كانت متبعة لجهة حرية اصدار الصحف. ولذلك نجد ان بعضهم كان يصدر جريدة وبعد سنوات معدودة يعود لإصدار غيرها وهكذا.

ويمكن الاشارة الى جملة من المواصفات

التي ظهرت في نيابة الصحافة واهمها باختصار التالي:

أ ـ ان الصحافة اللبنانية التي ولدت في المهجر انطلقت من رسالة وطنية ركزت على ربط الاغتراب اللبناني بالوطن الأم وباللغة العربية في معظم الاحيان. فخليل كسيب الذي كان نقيبا للصحافة مرتين استهل عمله في الصحافة بالمشاركة في تحرير جريدتي البرازيل والاقمار في البرازيل قبل ان يصدر في لبنان مجلة الخليل، واشترك مع آخرين باصدار جريدة الاحرار. اما نعوم لبكي فأنشأ جريدتي الرقيب والمناظر وعاد ليصدر الجريدة الاخيرة في لبنان. وروفايل لحود اصدر في الارجنتين مجلة بيبلوس ومجلة الدفاع وفي لبنان جريدتي نداء الوطن (شركة) والدنيا. وكانت لإبراهيم المنذر مشاركات عديدة في اكثر من دولة فكان مراسلا لجرائد لبنانية صدرت في نيويورك والبرازيل والارجنتين والتشيلي، وساهم في لبنان في جرائد الحرية والبرق والمعرض والمنار والاصلاح وكلها كانت تصدر بالعربية. اما شبل دموس الذي كتب في عدد من الصحف الوطنية فكان قد أسس جريدة الايام في نيويورك... وهكذا.

ولا بد من الاعتراف هنا ان هذه العينة من النواب الذين عملوا في الصحافة كانوا قد هاجروا الى دول في اميركا اللاتينية أو غيرها طلباً للرزق. وعملهم في مهنة البحث عن المتاعب في بلاد الاغتراب لا يمكن ان يكون قد تركز اساساً على طلب الرزق خصوصاً اذا ما اخذ عامل اللغة والعادات ومراكز الخير وغيرها بالاعتبار. ولذلك يمكن القول ان صحافة الاغتراب التي انشأها نواب فيما بعد يمكن ان تكون قد شكلت ما يشبه «البرنامج الانتخابي» لان عملهم في الصحافة كان أبعد في مداه من طلب رزق ولنقل انه كذلك انما في الوقت نفسه لربط المغترب اللبناني والعربي اجمالا بالوطن عبر نشر اخباره وتذكيره بلغته ولغة اجداده.

ب ـ قبل اعلان دولة لبنان الكبير كانت السوق الصحافية كغيرها مفتوحة على بعضها، وكان للعاملين في الصحافة اللبنانية دور مميز فيها ونواب من الصحافة كانوا بارزين في هذا المجال، ويظهر ذلك جلياً في الصحافة المصرية والسورية فالياس فياض حرر في الجرائد المصرية الاهرام والرائد المصري والبصير، كما كان شقيقه الطبيب نقولا من الذين راسلوا المقتطف والهلال والاهرام. كما تولى فيليب تقلا رئاسة تحرير مجلة المحاكم اللبنانية ـ السورية. اما جبران اندراوس تويني فقد عمل في الدلتا المصرية وترأس تحرير جريدة البصير في الاسكندرية والمقطم والاهرام في القاهرة. اما نعيم مغبغب فقد حرر في المقطم والاحرار المصريتين وعمل مراسلاً حربياً لشمال افريقيا في جريدة المصري. والرئيس شارل حلو اسس جريدة «برق الشمال» في حلب سنة ١٩٣٢، ويوسف الخازن انشأ في القاهرة جريدة الاخبار كما راسل وديع عقل الاهرام المصرية والف باء الدمشقية ولعل الظاهرة البارزة في «صحافة النواب» انفتاحهم الواضح على عدد من اللغات فأتقنوها، ويظهر ذلك جلياً بالنسبة للغة الفرنسية التي اصدروا فيها صحفاً ومجلات ان في لبنان أو في بلاد الاغتراب. ولعل ذلك ما زال مستمراً حتى اليوم ومن اسباب ذلك وضع لبنان في عهدة الانتداب الفرنسي عند تشكيل الدولة بموجب صك الانتداب والعلاقات التي ربطت لبنان بفرنسا في الحقبات التاريخية السابقة.

ان هذا التراث الذي خلفه «نواب الصحافة» لم يكن على حساب دورهم التمثيلي كنواب للأمة، فقد برز منهم اكثر من نائب على الصعيد الوطني. فجبران اندراوس تويني ما ان اصدر «النهار» باسمه سنة ١٩٣٣ حتى خاض معارك المشكلات الوطنية والسياسية المناوئه للانتداب

الفرنسي وكان من جراء ذلك ان عُطلت جريدته اكثر من مرة. اما نعيم مغبغب فأصدر جريدة «علامة الاستفهام» السرية التي كانت توزع اخبار ثورة تشرين ١٩٤٣ وتنشر اخبارها مجاناً. ان هذه العينة النيابية لا تعني ان نواب الصحافة الذين جاهدوا بقلمهم او بسياسة مؤسساتهم قد اقتصر على نائبين، فبالتأكيد كان هناك آخرون كثر، الا ان ذلك يحتاج الى قراءة النصوص التي صدرت في الصحف والمجلات وربطها بالواقع التاريخي الذي صدرت فيه وواقع الصحافة المكتوبة في آن معاً، وقد يكون ذلك في يوم من الايام في عهدة الدارسين ورجال الصحافة. فكتابتنا اليوم ليست الا محاولة «ربط نزع» لإعطاء الموضوع حقه بوضعه على الطاولة للدراسة والبحث.